خطة إعادة بناء الجيش المصري بعد هزيمة 1967
كما سمعها فؤاد مطر من المشير أحمد إسماعيل

(نص حديث متميز من حلقتين مع وزير الحربية المصرية المشير أحمد إسماعيل بعث به فؤاد مطر إلى "النهار"، من القاهرة، ونشرته في عددها الصادر يوم 5 أكتوبر/ تشرين الأول ويوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 1974).

على بعد أمتار من مسجد جمال عبد الناصر وضريحه يقع مبنى وزارة الحربية المصرية. وحدث هذه السنة نوع من إعادة النظر في الديكور الداخلي لبهو المبنى وللطبقة الأولى فيه. والديكور الجديد عبارة عن صور شأنه شأن الديكور القديم. الذي تغيَّر هو نوع الصور.

في الماضي كانت جدران البهو وجدران السلم الذي يوصل إلى الطبقة الثانية مغطاة بصور تمثل تطور الانتصارات العسكرية للجيوش المصرية من أيام الفراعنة في العصور القديمة ومن أيام عرابي ومحمد علي في العصور اللاحقة. وبعد الذي حدث في 6 أكتوبر/تشرين الأول 1973 تَقرَّر أن تُبدَّل كل هذه الصور بصور وملصقات تعكس الإنتصارات التي حققها الجيش المصري في حرب رمضان. وهذه الصور والملصقات تمثل لحظة العبور وخط بارليف مهدَّماً والأسرى الإسرائيليين الذين وقعوا في قبضة الجيش المصري خلال المعارك.

أما الصور التي يتمنى الواحد منا التفرج عليها فليست معلَّقة لكن هذا لا يعني أنها غير موجودة. وهذه الصور هي لمعارك الدبابات ومعارك الطيران وعمليات الصاعقة في قلب سيناء.

وتلك هي المرة الأُولى أجتمع بالمشير أحمد إسماعيل وزير الحربية المصري وجهاً لوجه لإجراء حوار معه عن الموقف بعد سنة من الحرب بما يتضمنه هذا الموقف من تشعبات. في الماضي رأيناه كثيراً وسمعنا عنه كثيراً. قبل حرب الإستنزاف وخلالها وفي فترة اللاحرب واللاسلم. حتى قيام الحرب كان الإنطباع الذي تكرس في ذهني عنه أنه أحد أبرز العسكريين العرب فهماً ومتابعة وخبرة وتخطيطاً. وأشير هنا إلى أن الدكتور حسن صبري الخولي هو الذي زرع هذا الإنطباع في ذهني. ولم يكن يترك مناسبة نلتقي فيها إلاَّ ويحدثني في تقدير عن أحمد إسماعيل. وجاءت نتائج حرب رمضان لتؤكد كل كلمة قالها لي الخولي.

المشير في غاية الرقة والطيبة. وفي منتهى الهدوء. ولعل هذه الصفات فيه هي التي جعلت الجيش ضباطاً وجنوداً يلتف حوله ويتجاوب مع كل تخطيطاته، وجعلت الحرب تدار من دون إرتباك أو عصبية.

مكتب المشير ينسجم مع بساطة الرجل. وفي مكتبه جرى هذا الحوار التاسعة والنصف ليلة الخميس 3 تشرين الأول/أكتوبر 1974. وكان اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية حالياً وقائد الجيش الثاني خلال الحرب معنا.

كنت أحضرتُ جهاز تسجيل. وسألت المشير إذا كان يمانع في تسجيل كلامه أم يفضل أن أكتفي بتدوين

نقاط معينة.

وفاجأني بقوله: سجل إذا كنت تريد أن تسجل، ودوّن إذا كنت تريد ذلك.

قلت: إنه الحوار الأول معك وأظن أن تسجيل كل كلمة تقولها أمر ضروري.

قال: ما الذي تريد أن تعرفه وتسأله؟

قلت: أمور كثيرة.

كيف أعيد بناء الجيش

وبدأنا. قلت للمشير أحمد إسماعيل: عندما عُينت قائداً للجبهة في أول تموز (يوليو) 1967 كان الوضع فظيعاً. الجيش المصري مشتت بعد هزيمة مرة. وحالة من التيه مسيطرة على الجميع. وفي خلال أشهر بدأت حرب الإستنزاف ثم تصاعدت. ثم دخلت مصر في حالة اللاسلم واللاحرب. ثم فاجأتم العالم بأن الجيش الذي هُزم في 5 حزيران/ يونيو 1967 استطاع أن يهز الجيش الإسرائيلي في حرب رمضان ويُلحق به خسائر كبيرة.

كيف أمكن في هذه الفترة القصيرة نسبياً إعادة بناء الجيش المصري وإعادة تسليحه ولمن الفضل في ذلك؟ إن العمل كان نوعاً من المعجزة. هل هنالك في التاريخ العسكري حالة مماثلة، أُعيد فيها بناء جيش مهزوم واستطاع هذا الجيش بعد خمس سنوات أن يحارب ويحقق إنتصارات؟

أجاب: لا شك في أن حرب 1967 كانت مفاجأة للقوات المسلحة المصرية وللدول العربية بل للعالم كله. وأريد أن أوضح نقطة أساسية هي أنه لا يمكن القول إن الجيش المصري في حرب 1967 قاتل وهُزم. الذي حدث هو أن الجيش عُبئ وتحرك وحُشد في سيناء ولم تكن هنالك أهداف واضحة للعملية التي سيقوم بها.

وكان الجيش المصري آنذاك كبيراً وقوياً وأسلحته جيدة. صحيح أن حرب اليمن كانت إستنفدت الكثير من الرجال والأعتدة إلاَّ أن الجيش في شكل عام كان في وضع جيد وقادراً على تنفيذ عمليات أو مهمات يكلَّف القيام بها وتتناسب مع قدرته وإمكاناته.

والمؤسف أن الحشد لم يتم من دون تحديد أهداف واضحة فحسب، إنها كذلك من دون تحديد مهمات سياسية أو إستراتيجية، ووفقاً لخطط قديمة عُدِّلت بعض الشيء. لا تخطيط. لا تحديد مهمات. لا إستراتيجية واضحة. لا دراسة كاملة للموقف.

ثم أُعطيَ العدو الفرصة للتحرك مستفيداً من أننا لم نمهد سياسياً لعملية الحشد ونوضح للعالم الغاية من ذلك. وانتهز العدو الفرصة وقام بضربته الشهيرة.

وعلى رغم كل ذلك، وعلى رغم الضربة التي منيت بها قواتنا الجوية وطائراتنا وهي على الأرض، كان في الإمكان القيام بمعارك دفاعية داخل سيناء لو لم تُصدر القيادة في ذلك الوقت الأوامر بالإنسحاب إلى الغرب. وإنسحاب قوات في هذا الحجم أمام عدو متفوق جوياً، وتَحرُّك هذه القوات في ممرات ومضائق داخل سيناء كانا أمريْن في غاية التعقيد لأن التحرك كان مقيداً. وهذا تسبّب في هزيمة كبيرة لقواتنا وتدمير جزء من القوات المنسحبة وأسلحتها.

هذا الأمر حدث بالنسبة إلى الأردن وسوريا فإن إفتقاد التنسيق بيننا وبين البلديْن أوصلنا إلى أننا لم نتمكن من بعثرة جهود العدو.

خلاصة القول إن القوات المصرية لم تتَح لها الفرصة لكي تقاتل عام 1967 بدليل أن القوات التي قاتلت في العريش مثلاً قاتلت في بسالة لكن الأوامر بالإنسحاب طغت على كل الآمال وفوتت الفرصة على إمكان القيام بعمليات داخل سيناء.

وكان الموقف في غاية الصعوبة. القوات المصرية تنسحب إلى الشاطئ الغربي للقناة. وطيران العدو يضربها وهي تنسحب. وعندما يتوقف الطيران عن الضرب تبدأ مدفعية العدو الضرب. وكان الرجال يتساقطون وأسلحتهم تحترق.

كان الموقف بعد الإنسحاب فظيعاً. وكان على القيادة المصرية أن تعيد تنظيم هذه القوات وتضعها في المواقع التي تمكنها من إيقاف تقدم العدو.

وعندما توليت قيادة الجبهة في ذلك الوقت (أول يوليو/تموز 1967) كانت أمامي مهمات كثيرة أمضيت بضعة أيام قبل تسلم المنصب أدرس كيفية تنفيذها وتطبيقها.

سألت: هل يمكن تحديد هذه المهمات؟

أجاب: يمكن اختصار المهمات بأربعة بنود كالآتي:

البند الأول – إعادة تنظيم القوات المسلحة في أماكنها.

البند الثاني – إقامة دفاعات غرب شاطئ القناة لمنع توغل العدو إلى الغرب.

البند الثالث – بث روح الثقة في الجنود والضباط وإعادة الثقة بين هؤلاء وبين أسلحتهم وقادتهم.

البند الرابع – إزالة آثار التفوق الإسرائيلي سواء التفوق الجوي أو التفوق في بقية الأسلحة.

لم تكن مهمة قيادة جبهة من بورسعيد إلى السويس أمراً سهلاً في تلك الظروف. كان عليّ أن أنظِّم القوات العائدة وأعيد الثقة إليها. وفي الوقت نفسه كان عليّ تحديد مسؤوليات واختيار قيادات جديدة، وإعادة تموين القوات بالذخيرة، وإعادة صيانة المعدات وتصليحها.

وكانت بدأت تصلنا أسلحة من الإتحاد السوفياتي، ويتم توزيع هذه الأسلحة على الوحدات.

لم تكن المهمة سهلة لكن الذي ساعد هو أن الضباط والجنود تضافرت جهودهم وكانوا يشعرون أن عليهم الأخذ بالثأر من العدو في سرعة.

بعد ذلك بدأت مرحلة من الزيارات السريعة والمتلاحقة للوحدات.

وتلك كانت مرحلة الصمود. وفي هذه المرحلة كان التدريب شاقاً لكن الضباط والجنود تحملوا القساوة بالرضى الكامل لأنهم كانوا بالفعل يفكرون باليوم الذي سيثأرون فيه.

وفي مرحلة الصمود أقمنا تحصينات ودفاعات في غرب القناة.

وجاءت معركة "رأس العش" كأول اختبار حقيقي لمرحلة الصمود. فقد تمكن عدد من الجنود أن يوقفوا دبابات العدو التي كانت تتجه نحو بور فؤاد في محاولة لإحتلالها. وقاتل هؤلاء في بسالة وبعضهم ضحى بنفسه من أجْل وقف تقدم الدبابات. وبالفعل تراجع العدو قبل حوالى 15 كيلومتراً من بور فؤاد. وقد حدثت معركة "رأس العش" بعد ثلاث ساعات من تسلمي قيادة الجبهة.

قلت: متى بالتحديد بعد الهزيمة بدأ الإتحاد السوفياتي يمد مصر بالسلاح؟

أجاب: بعد مرور شهر أو أقل على النكسة بدأت تصلنا الأسلحة من الإتحاد السوفياتي. لم تكن تصل بكميات ضخمة إنما كمية بعد كمية. نحن لم ننتظر وصول السلاح لنبدأ إعادة تنظيم الجيش. بدأنا المهمة على الفور مستفيدين من الأسلحة التي عادت بها القوات المنسحبة. وفي معركة "رأس العش" قاتلنا بما كان لدينا من سلاح. وفي 15 يوليو/تموز 1967 تصدّت طائرات من تلك التي بقيت سالمة للطائرات الإسرائيلية. وهذا التصدي الجوي كان الأول بعد النكسة. وكان له أثره النفسي في صفوف قواتنا وشعبنا لأن الجنود الإسرائيليين ظهروا في صور صادرة عن تل أبيب تمثلهم هاربين من قصف طائراتنا.

وأعيدت الثقة أكثر فأكثر بعدما تمكنت قواتنا من تدمير "إيلات" وكان ذلك في 21 أكتوبر/تشرين الأول.

وعلى رغم هذه العمليات المتواضعة فإن مشاعر الضباط والجنود كانت متأثرة. وكان كل فرد من هذه القوات يشعر بالضيق لمجرد أن يرى الأعلام الإسرائيلية ترفرف على أرضه في سيناء. وهذا الضيق كان بالنسبة إلى قواتنا حافزاً على المزيد من التدريب للانتقام من العدو المتمركز أمامهم على الشاطئ الشرقي.

الردع فالإستنزاف

بعدما حدث إطمئنان إلى أننا لن نمكِّن العدو من التوغل إلى الغرب لو حاول، إنتقلنا من مرحلة الصمود إلى مرحلة الإستنزاف. وقبل الإستنزاف عشنا لفترة مرحلة الردع وهي المرحلة التي كنا نرد فيها بالمثل على كل ضربة يوجهها العدو إلينا. وحدث مرة أن الإسرائيليين ضربونا في شدة في منطقة القنطرة. وردت قواتنا في عنف إلى درجة أن القوات الإسرائيلية هربت نتيجة لذلك إلى العريش.

وفي مرحلة الإستنزاف تحمَّلنا الخسائر لكننا أوقعنا في صفوف العدو خسائر كبيرة.

وفي مرحلة الإستنزاف لم تترك مدافعنا العدو يهدأ. وفي هذه المرحلة أيضاً بدأنا نرسل مجموعات إلى داخل سيناء تهاجم وتخطف عساكر إسرائيليين وتعود بهم إلى الغرب.

ولقد شهدت منطقة بور توفيق ضربات وعمليات مدهشة. كانت عملياتنا متواصلة وهدفها تكبيد الإسرائيليين أكبر خسائر ممكنة في الأرواح والمعدات بحيث يشعر العدو أنه لن يستريح حيث هو وأن عليه تبعاً لذلك ترك

المنطقة.

ومن هنا بدأ العدو يفكر في إقامة خط بارليف. إن فداحة الخسائر التي مُني بها في الأشهر الأولى من حرب الاستنزاف هي التي جعلته يلجأ إلى بناء التحصينات الضخمة التي سميت "خط بارليف". ولقد أشار الإسرائيليون إلى ذلك عندما قالوا إنهم خسروا في حرب الاستنزاف أكثر مما خسروا في حرب 1967.

تلك هي لمحة سـريعة عما فعلناه لإعادة تنظيم الجيش وبنائه وتسـليحه. لقد بنينا قواتنا رجالاً ومعدات ومعنويات وأسلحة في سرعة قياسية لأن هذه القوات تجاوبت. ولم تمض فترة طويلة حتى بدأت هذه القوات تشعر أنها متفوقة وواثقة من نفسها وزال من الأذهان الوهم الذي شاع أن الجندي الإسرائيلي لا يمكن قهره. في مرحلة الإستنزاف أزيل هذا الوهم تماماً وعاد الجندي المصري واثقاً من نفسه ومن سلاحه. وأصبح يتدرّب وينتظر الأمر ليترجم ما استوعبه من سلاح. وعندما صدر الأمر كان هذا الجندي مثالياً ومقاتلاً من معدن نادر.

حالات مماثلة لإعادة البناء

سألت: هل حدثت في التاريخ العسكري حالات إعادة بناء جيش مهزوم في السرعة التي أعيد بناء الجيش المصري؟

أجاب: بالطبع حدث. هنالك دول كبرى هُزمت وأعيد بناء جيشها في سرعة، لكني أود لفت الإنتباه إلى أن هذه الدول كان تنتج الأسلحة ولذلك لم يكن الأمر صعباً بالنسبة إليها. أما نحن فإن مشكلتنا أننا نعتمد على السلاح الذي يعطى لنا ما دمنا دولة لا تنتج السلاح. إن الإتحاد السوفياتي هُزم في بداية الحرب إلاَّ أنه أعاد بناء جيشه بفضل السلاح الذي ينتجه وإستطاع أن يشن هجوماً مضاداً وينتصر. الإنكليز أيضاً هُزموا أكثر من مرة وأعادوا في سرعة بناء قواتهم بفضل مصانع السلاح التي عندهم.

مثل هذه الدول عندها القدرة والإمكانات لإعادة بناء قواتها بعد هزيمة أما نحن فعندنا الرجال ولكن ليس عندنا سـلاح. ولقد أمكن بناء الرجال بالأسـلحة التي كانت متوافرة وهي قليلة وتلك في نظري كانت معجزة. ولأن هذه الأسلحة لم تكن كثيرة فإن همنا كان منصباً على استخدامها في دقة وإستغلالها على قدر الإمكان لكي نواجه الأسلحة الأخرى المتوافرة لدى العدو. ولقد ركّزنا على أن تكون إستفادتنا بنسبة مواجهة نقاط الضعف في سلاح العدو. ولهذا مثلاً كنا نحشر الأسلحة في المكان الذي يتناسب واستعمالها. وهذه النقطة أخذت من تفكير القيادات المصرية الكثير.

نُشرت هذه الحلقة من الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الأحد 6 أكتوبر/تشرين الأول 1974

حـوار مـع وزيـر الحـربيـة المصري في ذكرى حرب تشرين (١)

المشير احمد اسماعيل لـ "النهار": هكذا اعدنا بناء الجيش بعد الهزيمة

القاهرة ــ من فؤاد مطر :

على بعد أمتار من مسجد جمال عبدالناصر وضريحه يقع مبنى وزارة الحربية المصرية ، وحدث هذه السنة نوع من اعادة النظر في الديكور الداخلي لبهو المبنى وللطبقة الاولى فيه ، والديكور الجديد عبارة عن صور شأنه شأن الديكور القديم ، الذي تغير هو نوع الصور .

في الماضي كانت جدران البهو وجدران السلم الذي يوصل الى الطبقة الثانية مغطاة بصور تمثل تطور الانتصارات العسكرية للجيوش المصرية من أيام الفراعنة في العصور القديمة ومن أيام عرابي ومحمد علي في العصور اللاحقة ، وبعد الذي حدث في ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ تقرر أن تبدل كل هذه الصور بصور وملصقات تعكس الانتصارات التي حققها الجيش المصري في حرب رمضان ، وهذه الصور والملصقات تمثل لحظة العبور وخط بارليف ومعها والاسرى الاسرائيليين الذين وقعوا في قبضة الجيش المصري خلال المعارك .

أما الصور التي يتمنى الواحد منا التفرج عليها فليست معلقة لكن هذا لا يعني أنها غير موجودة ، وهذه الصور هي لمعارك الدبابات ومعارك الطيران وعمليات الصاعقة في قلب سيناء .

وتلك هي المرة الاولى أجتمع بالمشير أحمد اسماعيل وزير الحربية المصري وجها لوجه لاجراء حوار معه عن الموقف بعد سنة من الحرب

الوضع فظيعا ، الجيش المصري مشتت بعد هزيمة مرة ، وحالة من التيه مسيطرة على الجميع ، وفي خلال أشهر بدأت حرب الاستنزاف ثم تصاعدت ، ثم دخلت مصر في حالة اللاسلم واللاحرب ، ثم فاجأتم العالم بأن الجيش الذي هزم في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ استطاع أن يهز الجيش الاسرائيلي في حرب رمضان ويلحق به خسائر كبيرة .

كيف أمكن في هذه الفترة القصيرة نسبيا اعادة بناء الجيش المصري واعادة تسليحه ولمن الفضل في ذلك ؟ ان العمل كان نوعا من المعجزة ، هل هنالك في التاريخ العسكري حالة مماثلة ، اعيد فيها بناء جيش مهزوم واستطاع هذا الجيش بعد خمس سنوات أن يحارب ويحقق انتصارات ؟

أجاب : لا شك في أن حرب ١٩٦٧ كانت مفاجأة للقوات المسلحة المصرية وللدول العربية بل للعالم كله ، وأريد أن أوضح نقطة اساسية هي أنه لا يمكن القول أن الجيش المصري في حرب ١٩٦٧ قاتل وهزم، الذي حدث هو أن الجيش عبىء وتحرك وحشد في سيناء ولم تكن هنالك أهداف واضحة للعملية التي سيقوم بها .

وكان الجيش المصري آنذاك كبيرا وقويا وأسلحته جيدة ، صحيح أن حرب اليمن كانت استنفدت الكثير من الرجال والاعتدة الا ان الجيش في شكل عام كان في وضع جيد

الشاطىء الغربي للقناة ، وطيران العدو يضربها وهي تنسحب ، وعندما يتوقف الطيران عن الضرب تبدأ مدفعية العدو الضرب ، وكان الرجال يتساقطون واسلحتهم تحترق.

كان الموقف بعد الانسحاب فظيعا، وكان على القيادة المصرية أن تعيد تنظيم هذه القوات وتضعها في المواقع التي تمكنها من ايقاف تقدم العدو .

وعندما تولیت قيادة الجبهة في ذلك الوقت (اول يوليو (تموز) ١٩٦٧) كانت امامي مهمات كثيرة امضيت بضعة ايام قبل تسلم المنصب ادرس كيفية تنفيذها وتطبيقها .

سألت : هل يمكن تحديد هذه المهمات ؟

اجاب : يمكن اختصار المهمات باربعة بنود كالاتي :

البند الاول ـ اعادة تنظيم القوات المسلحة في اماكنها .

البند الثاني ـ اقامة دفاعات غرب شاطىء القناة لمنع توغل العدو الى الغرب .

البند الثالث ـ بث روح الثقة في الجنود والضباط واعادة الثقة بين هؤلاء وبين اسلحتهم وقادتهم .

البند الرابع ـ ازالة اثار التفوق الاسرائيلي سواء التفوق الجوي او التفوق في بقية الاسلحة .

لم تكن مهمة قيادة جبهة من

الاسرائيلية هربت نتيجة لذلا الى العريش .

وفي مرحلة الاستنزاف تعلمنا الخسائر لكننا أوقعنا في صفوف العدو خسائر كبيرة .

وفي مرحلة الاستنزاف لم نترك مدافعنا العدو يهدأ ، وفي هذه المرحلة أيضا بدأنا نرسل مجموعات الى داخل سيناء تهاجم وتطف عساكر اسرائيليين وتعود بهم الى الغرب .

ولقد شهدت منطقة بور تفيق ضربات وعمليات مدهشة ، كانت عملياتنا متواصلة وهدفها تبيد الاسرائيليين أكبر خسائر ممكنة في الارواح والمعدات بحيث شعر العدو أنه لن يستريح حيث و وأن عليه تبعا لذلك ترك المنطقة

المشير احمد اسماعيل يتحدث الى فؤاد مطر .

ومن هنا بدأ العدو يفكر في اقامة خط بارليف ، ان قناعة الخسائر التي مني بها في الاشهر الاولى من حرب الاستنزاف هي التي جعله يلجأ الى بناء التحصينات الضخمة التي سميت « خط بارليف » ، ولقد أشار الاسرائيليون الى ذلك عندما قالوا انهم خسروا في حرب الاستنزاف أكثر مما خسروا في حرب ١٢٧ .

تلك هي لمحة سريعة عما علمناه لاعادة تنظيم الجيش وبائه وتسليحه ، لقد بذلنا قوائد رجالا ومعدات ومعنويات واسلحة فسرعة قياسية لان هذه القوات تجابت ، ولم تمض فترة طويلة حتى بدأت هذه القوات تشعر انها بموقف

حالات مماثلة لاعادة البناء

سألت : هل حدثت في التاريخ العسكري حالات اعادة بناء جيش مهزوم في السرعة التي اعيد بناء الجيش المصري ؟

أجاب : بالطبع حدث ، هنالك دول كبرى هزمت واعيد بناء جيشها في سرعة ، لكني أود لفت الانتباه الى أن هذه الدول كانت تنتج الاسلحة

وأصبح يتدرب وينتظر الامر ليترجم ما استوعبه من سلاح ، وعندما صدر الامر كان هذا الجندي مثاليا ومقاتلا من معدن نادر .

يشن هجوما مضادا وينتصر، الانكليز أيضا هزموا أكثر من مرة وأعادوا في سرعة بناء قواتهم بفضل مصانع السلاح التي عندهم ،

مثل هذه الدول عندها القدرة والامكانات لاعادة بناء قواتها بعد هزيمة أما نحن فعندنا الرجال ولكن ليس عندنا سلاح ، ولقد أمكن بناء الرجال بالاسلحة التي كانت متوافرة وهي قليلة وتلك في نظري كانت معجزة ، ولان هذه الاسلحة لم تكن كثيرة فان همنا كان منصبا على استخدامها في دقة واستغلالها على قدر الامكان لكي نواجه الاسلحة الاخرى المتوافرة لدى العدو ، ولقد

الحلقة الثانية من الحديث مع المشير أحمد إسماعيل

إنتقلنا إلى موضوع ثغرة الدفرسوار. ولاحظت أن المشير أحمد إسماعيل مهتم جداً بالموضوع وعلى إستعداد للتحدث فيه.

وقبل أن أنقل الجانب المتعلق بموضوع الثغرة من هذا الحوار أرى من الضروري تسجيل واقعة توضح بعض الشيء أمر تلك الثغرة التي ألقت ظلالاً على عملية العبور العظيمة والتاريخية.

خلاصة الواقعة أنه قبل أيام قليلة من زيارة كيسينجر لأسوان بلغت الولايات المتحدة معلومات تفيد أن القيادة المصرية في صدد التحضير لضرب الثغرة بل إن هنالك خطة وُضعت. وهذه المعلومات جعلت الرئيس نيكسون يسرع في إرسال وزير خارجيته إلى مصر. وفي لقاء ثنائي بين الرئيس أنور السادات والدكتور كيسينجر في أسوان أشار الوزير الأميركي إلى تلك المعلومات وقال إن الرئيس نيكسون كلفه إبلاغ السادات الأمور الآتية:

– إن الولايات المتحدة بما لديها من معلومات تفترض أن الجيش المصري سيضرب الثغرة الإسرائيلية ويصفي أفرادها.

– إن الولايات المتحدة ترى نفسها حيال ذلك مُلزمة بالتدخل لإفشال الخطة المصرية.

– إن الولايات المتحدة يهمها أن تؤكد للرئيس السادات أن ذلك ليس موجهاً ضده لكنها لا تسمح بأن يسجل السلاح السوفياتي انتصاراً على السلاح الأميركي.

– إن الولايات المتحدة تبعاً لذلك تبدي إستعدادها الكامل لإنهاء الثغرة بالطرق السلمية.

وكان واضحاً من هذه الأمور أن الولايات المتحدة ميّالة إلى الاعتقاد أن في قدرة الجيش المصري ضرب الثغرة الإسرائيلية، كذلك كان واضحاً أن الولايات المتحدة تنذر مصر وإن كان إنذاراً لبقاً بعض الشيء.

وإختار الرئيس السادات الصيغة السلمية لإنهاء الثغرة تفادياً للتدخل الأميركي وفي الوقت نفسه لتسليف الرئيس نيكسون خدمة من جهة، وتفادياً لأية مضاعفات داخلية ولاية إشكالات قد تنشأ بالنسبة إلى الجيش الثالث الذي واجه حالة حصار.

والآن بعد سنة على حرب رمضان ليس واضحاً ما إذا كان الثمن الذي دفعته مصر لإنهاء الثغرة بالطرق السلمية وفقاً لما أرادته الولايات المتحدة كان باهظاً أكثر بكثير مما لو كانت ضربت الثغرة.

وفي أي حال ستبقى مسألة الثغرة خاضعة للإجتهاد بين تيارين. تيار الفريق سعد الدين الشاذلي الذي عاد إلى عمله سفيراً في لندن بعدما استدعي إلى القاهرة وإضطر إلى الإدلاء بحديث صحافي أنهى به القال والقيل حول تصريحاته في لندن. وتيار الفريق الآخر، التيار الرسمي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التيارين يلتقيان حول نقطة واحدة هي أن الجيش المصري كان قادراً على ضرب ثغرة الدفرسوار.

كنا سنضرب الثغرة

قلت للمشير إسماعيل: ماذا لو لم تحدث الثغرة، أو لو ضُرِبَت؟

أجاب: أمس كنت أتحدث مع أحمد بهاء الدين في أمر الثغرة. ولقد أكدتُ له وأريد أن أكرر تأكيدي لك أن موضوع الثغرة لم يكن مسألة صعبة بالنسبة إلينا كعسكريين.

وإلتفت المشير إسماعيل إلى اللواء سعد مأمون وقال: اللواء سعد يجلس إلى جانبك. لقد عيّنته ليصفي أمر الثغرة.

وقلت للواء سعد مأمون: ليتك أنهيت موضوع الثغرة فلو إنتهت ماذا كان سيبقى لإسرائيل؟

ثم تذكرتُ الإنذار الذي وجهه نيكسون وحمله كيسينجر إلى السادات في أسوان.

وأضاف المشير إسماعيل: وضعنا خطة بالفعل لضرب الثغرة وأنا واثق من أننا كنا سننهيها ونشتت الجنود الإسرائيليين. وفي اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة عُقد في القناطر الخيرية يوم 24 ديسمبر (كانون الأول) 1973 عرضت الخطة على الرئيس السادات.

وأنا مقتنع بأن العدو فضَّل أن ينسحب بعدما أدرك أن الوضع ليس لمصلحته أبداً.

وضع الجبهة ومشكلة السلاح

من موضوع الثغرة الذي بدا لي من كلام المشير إسماعيل أنه قضية سياسية وليس قضية عسكرية – وفي القضايا السياسية لا يحب، بل يرفض، المشير إسماعيل الكلام – انتقلنا إلى موضوع آخر: الجبهة المصرية الآن.

سألت المشير: ما هو وضع الجبهة المصرية الآن، وهل أن مشكلة التسلح ما زالت قائمة؟

أجاب: الوضع الآن بعد فك الارتباط أفضل بكثير من الوضع السابق...

قلت: هل تقصد أنه أفضل من الوضع الذي كان عشية الحرب؟

أجاب: الوضع أفضل حتى من الوضع الذي كان خلال الحرب. كل الأراضي في الشاطئ الشرقي للقناة تحت سيطرتنا الكاملة. وفي الشرق لنا قوات. ولم تعد القناة تشكل حاجزاً كما كانت عشية حرب رمضان. والإتصالات طبيعية بين قواتنا في الغرب وقواتنا في الشرق. إذاً نحن من الناحية الوضعية في وضع جيد. بالإضافة إلى ذلك إن معنويات قواتنا ممتازة. ومن حيث القوة نحن أقوى مما كنا ولدينا الأسلحة التي يمكننا استخدامها في دقة. وعندنا قادة مدربون قاتلوا ويمكنهم أن يقاتلوا مرة ثانية وثالثة وعندهم الثقة الكاملة في أنفسهم وفي جنودهم وضباطهم وأسلحتهم. هؤلاء القادة يملكون قدرة جيدة على التخطيط للحرب. وأؤكد وأنا في كامل الإقتناع أنني قادر بهؤلاء القادة على خوض جولات أُخرى من القتال مع إسرائيل وضامن سلفاً للنجاح في هذه الجولات.

ويهمني أن أطمئن إخواننا العرب في كل مكان أن المعركة لم تنته وأننا لا نتصرف على أساس أن المعركة إنتهت. إن المعركة ما تزال مستمرة وسنظل كذلك ما دامت هنالك أرض عربية يحتلها العدو الإسرائيلي. وعلى هذا الأساس فإننا نسلح أنفسنا ونتدرب ونطور قواتنا ونستفيد من دروس المعركة الماضية ونخطط. وليطمئن الأخوان العرب أيضاً إلى أننا جاهزون تماماً لأي عمل عسكري في المستقبل.

تسألني عن مشكلة التسلح. المشكلة ما تزال قائمة والتسلح لبلد لم تنته المعركة بعد بالنسبة إليه يبدو دائماً مشكلة. ولكن عندنا من السلاح ما يكفي لأننا لم نفقد الكثير في حرب رمضان. ولا بد أنك لاحظت العرض العسكري الذي أقمناه في 5 يونيو/حزيران الماضي. إن ذلك العرض يعطي فكرة واضحة عن قواتنا العسكرية.

أكرر أن لدينا من السلاح الكثير وهذا يمكننا من تنفيذ الأعمال المطلوبة منا.

بالإضافة إلى ذلك هناك التنسيق القائم بيننا وبين سورية. لقد خضنا معركة في وقت واحد وفي تنسيق كامل. وإذا تطلَّب الأمر خوض معركة أخرى سواء على الجبهة السورية أو على الجبهة المصرية فإننا سنخوضها معاً.

إننا نطور ما عندنا من سلاح. والرئيس السادات أشار إلى أننا سنحصل على أسلحة جديدة. والتنسيق مع سورية ناحية مهمة جداً بالنسبة إلى مسألة السلاح.

السلاح السوفياتي والخبرة السوفياتية

قلت: هل يمكن أن نقف على تقييمك للسلاح السوفياتي وللخبرة العسكرية السوفياتية وأثرهما في حرب رمضان؟ وهل أن السلاح الذي حصلتم عليه من الإتحاد السوفياتي قادر على الوقوف في وجه السلاح المتطور الذي تعطيه أميركا لإسرائيل من دون حساب؟

أجاب: علينا ألاَّ نبخس الاتحاد السوفياتي حقه. إن الاتحاد السوفياتي ساعدنا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. ونحن قاتلنا بالسلاح السوفياتي وانتصرنا به. وعدونا قاتل بالسلاح الأميركي ولم ينتصر.

ونحن لا يمكن أن نقول إن السلاح السوفياتي أحسن من السلاح الأميركي أو العكس. كل سلاح له مزاياه وعيوبه.

صحيح أن السوفيات أعطونا بعض الأسلحة المتطورة إلاَّ أنني أود التأكيد على نقطة مهمة هي أن الرجل أهم من السلاح، بمعنى أنه لو جرت معركة بين دبابتين مثلاً، دبابة متفوقة من الوجهة الصناعية وأُخرى عادية، فإن في قدرة الدبابة العادية إذا كان طاقمها مدرباً تدريباً جيداً أن تهزم الدبابة المتفوقة إذا لم يكن طاقمها مدرباً كما يجب. إن التدريب له أهمية كبرى في مثل هذه الحال.

لقد إعتمدنا إعتماداً كلياً على السلاح السوفياتي في المعركة. لكنني أشير هنا إلى أننا عدَّلنا وطوَّرنا في بعض النواحي المتعلقة بهذا السلاح.

نأتي إلى مسألة الخبرة العسكرية السوفياتية. إن الحرب عادة هي المحك لأية تكتيكات غربية أو سوفياتية.

ولقد أكدت الحرب بعض النظريات الجديدة اســتفدنا منها. وخبرتنا في القتال هي المرجع الرئيســي لنا حالياً في استخدام التكتيكات العربية – المصرية السليمة.

شكل الحرب المقبلة

قلت: كيف تتصور شكل الحرب المقبلة مع إسرائيل؟

أجاب: الجواب عن هذا السؤال يفتح الطريق أمام كشف سر من الأسرار. إنني لا أستطيع أن أوضح تماماً لكن هنالك خططاً وضعت بالتنسيق مع سوريا لمواجهة إسرائيل إذا تطلَّب الأمر ذلك. والحرب المقبلة مع إسرائيل ستكون مختلفة عن الحرب السابقة. الوسائل مختلفة والتكتيكات كذلك. أما الجندي فهو هو الذي قاتل في شجاعة في حرب رمضان. وليكن واضحاً أن هذا المقاتل أصبح تسليحه مختلفاً وأصبح استخدامه للسلاح الذي في يده سليماً جداً.

المساعدات العربية

قلت: هل أنتم راضون عن المساعدات العسكرية العربية التي تقدم إليكم؟ وهل كل ما تطلبونه من أسلحة أو مهمات من الدول العربية بما فيها الأردن، ينفَّذ؟

أجاب: في اعتقادي أن الدول العربية بإمكاناتها وقدراتها وموقعها وتعاطفها يمكن أن تعمل الكثير. جغرافياً قادرة. بترولياً قادرة. اقتصادياً قادرة. سياسياً قادرة. حتى أنها قادرة عسكرياً وبشرياً. والذي ينقصها هو التنسيق بين هذه القدرات والجهود.

وأجيز لنفسي هنا التحدث من موقع إختصاصي عن الناحية، أو القدرة العسكرية.

قبل أن تبدأ حرب رمضـــان بفترة قمت بجولة على بعض العواصـــم العربية وتحدثت مع الحكام والمســؤولين العسكريين في أمر الحرب. وكانوا معذورين بعض الشيء في إفتراضهم أننا لسنا جاهزين للحرب أو أننا غير جادين. وعلى رغم أني أكدت لهم أننا مقدمون قريباً على حرب إلاَّ أنهم لم يأخذوا قولي بالجدية المطلوبة. كانوا يتصورون أنه ليس في وسعنا مقاتلة إسرائيل. ولكن عندما بدأت الحرب سارع الجميع من دون إستثناء إلى تقديم المساعدات. كل دولة أعطت بنسبة ما تستطيع. وبسبب فقدان التنسيق فإن هناك قوات عربية وصلت إلى أرض المعركة متأخرة عن الموعد الذي كان يجب أن تصـــل فيه. ولو كان هناك تنســـيق لما كان حدث ذلك ولكان الموقف أفضل قليلاً أو كثيراً.

لذا فإنني أطالب إلى درجة الإلحاح بأن تحشد الدول العربية قدراتها وجهودها في إطار التنسيق. إننا لو فعلنا ذلك لحققنا المعجزات. والذي يحملني على هذه المطالبة هو أن الموقف الراهن بيننا وبين الدول العربية يتحســـن في إستمرار. وهذه أحسن فرصة للتنسيق. فالخطر ما يزال محيقاً بالجميع والحرب لم تنته وأمامنا أيام صعبة من الضروري أن نواجهها بالتخطيط والتنسيق والتفاهم على كل الأصعدة.

التنسيق مع سوريا

قلت: أنت عائد حديثاً من سوريا. ولمناسبة الحديث عن التنسيق هل أن التنسيق العسكري بين مصر وسورية هو في مستوى التنسيق السياسي؟

أجاب: أنا عائد من زيارة ناجحة كل النجاح. عائد مرتاح الضمير إلى كل الاستعدادات العسكرية هناك. لقد زرت الجبهة واجتمعت بالقيادات هناك ووجدت أنهم يعملون على أساس أن المعركة لم تنته بعد وأنهم سيستأنفون القتال إذا كانت أراضيهم لن تعود إليهم. كل الأراضي وليس جزء منها. أي المبدأ نفسه الذي نعمل بموجبه. إنهم في سورية يتدربون ويُعدون أنفسهم للقتال. أما عن التنسيق فإنه "مية في المية" على الصعيد العسكري و"مية في المية" على الصعيد السياسي.

المقاتلون... والحل السلمي

قلت: ماذا يعني الجهد الديبلوماسي ومؤتمر جنيف والحوار مع الأميركان لحل الأزمة سلمياً، بالنسبة إلى المقاتل المصري؟ وماذا تعني إسرائيل بالنسبة إليه أيضاً؟

أجاب: كعسكريين عندنا هدف واضح هو تحرير أراضينا والأراضي العربية وإعطاء الشعب الفلسطيني حقه المشروع. ونحن نتدرب ونعمل في إخلاص لتحقيق هذا الهدف بوسائلنا العسكرية.

في الوقت نفسه هنالك المساعي السياسية التي تُبذل والتي أؤكد أنها لا تؤثر على هدفنا وخططنا كعسكريين. ويهمني التأكيد كذلك أننا لسنا دعاة حرب لكننا جاهزون للقتال. مهمتنا كعسكريين هي تحرير أراضينا من دون أن نتأثر بالمساعي التي يقوم بها أهل السياسة.

متى تقررت الحرب؟

قلت: متى بالتحديد إتُّخذ قرار الحرب، وهل صحيح أن هنالك أطرافاً عربية غير سورية أحيطت به؟

أجاب: يوم تقرر تعييني وزيراً للحربية قال لي الرئيس السادات إنه عينني في هذا المنصب لأنه يرى أن القضية لن تُحل سياسياً. وقال أيضاً إن مهمتي هي إعداد القوات المسلحة لخوض المعركة. هذا معناه أن الرئيس السادات في الوقت الذي كان يبذل جهداً سياسياً كان يرى أن الشرارة العسكرية هي التي ستحل القضية.

أما الذين كانوا يعرفون بقرار الحرب فهم ثلاثة فقط: الرئيس السادات والرئيس الأسد وأنا.

غرفة العمليات

قلت: يلاحَظ أنكم فتحتم غرفة العمليات قبل أمس (الثلاثاء أول تشرين الأول – أكتوبر) أمام عدد من الصحافيين المصريين. هل مثل هذه الخطوة مألوفة. وهل معنى ذلك أن غرفة العمليات ستتغير بعدما كشفتم النقاب عنها أمام عناصر مدنية؟

أجاب: الغرفة التي تشير إليها ليست هي غرفة العمليات الرئيسية. إن غرفة العمليات عبارة عن مجموعة غرف. والغرفة المشار إليها هي إحدى الغرف أما الغرفة الرئيسية فلا تُفتح أمام أحد.

إذا حاولت إسرائيل...

قلت: طِبقاً لما لديكم من معلومات، هل تعتقدون أن الوضع الراهن في إسرائيل يسمح لها بشن حرب؟

أجاب: إذا جربت إسرائيل فسترى الرد الذي لن يكون لمصلحتها.

نُشرت هذه الحلقة من الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الإثنين 7 أكتوبر/تشرين الأول 1974